بسم الله الرحمن الرحيم

تصدير

عَوْد إلى الإحصاءات اللغوية

للدكتور إبراهيم أنيس

لما ظهرت إحصاءات الجذور للغتنا العربية بوساطة الحاسب الإلكترونى تساءل ، الدارسون عن جدوى تلك الإحصاءات فى بحوثنا اللغوية . وقد أجبت عن هذا التساؤل فى صدر هذه المجلة فعرضت ملخصاً لبحث لغوىّ تبيّن منه أن التفسير العلمى السليم لتلك الظاهرة التى سمّاها القدماءُ من علماءِ العربية بالقلب المكانى مثل (جذب ، جبذ . اضمحل ، امضحل . اكفهر ، اكرهفّ) هو اختلاف نسبة الشيوع بين السلاسل الصوتية للجذور ، ويتضح ذلك من الإحصاءات . وسأُوالى فى المستقبل القريب إن شاء الله نشر ما اهتدينا إليه من تفسير لظواهر أُخرى فى لغتنا على أساس إحصاءاتنا الحديثة ، التى استمدت موادها من معجمين قديمين هما :

صحاح اللغة للجوهرى ، ولسان العرب لابن منظور .

كذلك تساءل الدارسون : ألم يقم علماؤُنا القدماءُ بمحاولة للحصول على مثل هذه الإحصاءات أو مايشبهها ؟ .

وقد عنّ لى إزاءَ هذا التساؤُل أن أطوّف مع الدارسين فى جولة سريعة نستعرض فيها ماجاءَ فى تراثنا القديم بشأْن هذا النوع من الإحصاءات ، ونصدّر بذلك صفحات هذا الجزء من مجلة مجمعنا الموقر . فقد أحسست كلما قرأْت فى كتب علمائنا القدماء أنهم كانوا فى شبه صراع رهيب مع الإحصاءِ والاستقراء ، يوفقون حينا ، ويخطئهم التوفيق حينا آخر .

مع الخليل :

يروى أنه حين شرع فى تصنيف معجم العين أو وضع هيكله فكر تفكيرا رياضيا ليحصل على عدد كل من الجذور الثنائية والثلاثية والرباعية والخماسية ، التى يمكن أن تتألف من حروف الهجاءِ الثمانية والعشرين دون أن يتكرر حرف من الحروف فى أى جذر . وكان أن وصل إلى الرقم الصحيح الدقيق لعدد كل من هذه الجذور بمجموعها كلها الذى بلغ فى إحصائه ١٢٣٠٥٤١٢ . وقد برهنت العمليات الرياضية الحديثة أن الأرقام المروية عن الخليل صحيحة ودقيقة كل الدقة .

كذلك مما يروى عن الخليل أنه قال (ليس فى كلام العرب شين بعد لام ، ولكن قبلها) . وكان على الدارس منا فيما مضى إذا أراد أن يتحقق من صدق هذا القول أن يراجع مثلا معجما كلسان العرب فى مجلداته العشرين .. أما الان ومع إحصاءات الكومبيوتر فيكفى النظر إلى جدول أو جدولين من جداولها ، وفى ثوان يمكن الحكم على مدى صحة قول الخليل . وأكدت إحصاءاتنا الحديثة أنه صحيح .

مع الجاحظ :

لا نكاد نعثر فى كل ماخلّف لنا الجاحظ من مؤلفات ضخمة ، إلا على بضعة أسطر يتحدث فيها عن إحصاءات الحروف واقترانها بعضها ببعض فى اللغة العربية . فيقول فى البيان والتبيين إن الياءَ ، واللام ، والألف ، والراءَ أكثر الحروف ترددا من غيرها ، وإن الحاجة إليها أشد . ويذكر لنا كيف اهتدى إلى ذلك فى تعبير طريف يقول فيه (واعتبر ذلك بأن تأْخذ عدة رسائل وعدة خطب من جملة خطب الناس ورسائلهم ، فإنك متى حصلت جميع حروفها وعددت كل شكل على حدة علمت أن هذه الحروف الحاجة إليها أشد) !!

ثم يشير فى موضع آخر إلى اجتماع الحروف بعضها مع بعض فيقول (فأما اقتران الحروف فإن الجيم لاتقارن الصاد ولا القاف ولا الطاء ولا الغين بتقديم ولا تأخير . والزاى لاتقارن الظاء ولا السين ولا الضاد ولا الذال) .

ويكتفى بهذا ، وكأنى به وهو يلهث مجهدا بعد أن تبين له ضخامة تلك العملية الإحصائية ، إذْ يختتم كلامه بقوله (وهذا باب كبير ، وقد يكتفى بذكر القليل حتى يستدل به على العناية التى إليها يجرى) .

مع ابن دريد :

يقول فى مقدمة معجمه الجمهرة مانصه (واعلم أن أكثر الحروف استعمالا عند العرب : الواو ، والياءُ ، والهمزة ، وأقل مايستعملون لثقلها على ألسنتهم : الظاء ، ثم الذال ، ثم الثاء ، ثم الشين ، ثم القاف ، ثم الخاء ، ثم الغين ، ثم النون ، ثم اللام ، ثم الراء ، ثم الباء ، ثم الميم) .

وأهم ما نلاحظه على كلام ابن دريد المقتضب أنه لم يتضمن إلا نصف الحروف الهجائية ، وسكت عن باقى الحروف . ونلحظ كذلك أن النسخ الخطية ، لهذا المعجم قد اختلفت شأن حرفين من الحروف المذكورة هنا ، فبعضها يذكر « الدال » بدلا من « الذال » ، ويذكر « العين » بدلا من « الغين » .

وعلى حسب ماجاء فى إحصاءاتنا الحديثة نشعر أن ابن دريد كان أقل توفيقا من غيره ، فليست تؤيد من كلامه إلا قوله أن « الظاء » أقل الحروف استعمالا فى اللغة العربية .

مع ابن جنى :

جاء فى كتاب الخصائص[1] (أما إهمال ما أهمل مما تحتمله قسمة التراكيب فى بعض الأصول المتصورة أو المستعملة فأكثره متروك للاستثقال ، وبقيته ملحقة به ومقفاة على إثره ، فمن ذلك مايرفض استعماله لتقارب حروفه نحو : سصّ ، ظسّ ، ظثّ ، ثظّ ،

---

(١) ج ١ ص ٥٣

ضشّ ، شضّ . وهذا حديث واضح لنفور الحسّ عنه والمشقة على النفس لتكلفه . وكذلك : قجّ ، جقّ ، كقّ ، قكّ ، كجّ ، جكّ ، وكذلك حروف الحلق هى من الائتلاف أبعد لتقارب مخارجها عن معظم الحروف أعنى الفم ، فإن جُمع بين اثنين منها قدّم الأقوى على الأضعف نحو : أهل ، أحد ، أخ ، عهد ، عهر . وكذلك متى تقارب الحرفان لم يجمع بينهما إلا بتقديم الأقوى منهما نحو : أُرُل ، وتد ، وطد) .

مع لسان العرب :

يقول ابن منظور فى مقدمة معجمه (وأما تقارب بعض الحروف من بعض وتباعدها فإن لها سرّا فى النطق يكشفه من تمعناه كما انكشف سره فى جل المترجمات لشدة احتياجنا إلى معرفة مايتقارب بعضه من بعض ، ويتباعد بعضه من بعض ، ويتركب بعضه مع بعض ولا يتركب بعضه مع بعض . فإن من الحروف مايتكرر ويكثر فى الكلام استعماله وهو : أ ، ل ، م ، ه ، و ، ى ، ن [1] . ومنها مايكون تكراره دون ذلك وهو : ر ، ع ، ف ، ت ، ب ، ك ، د ، س ، ق ، ح ، ج [2] ، ومنها مايكون تكراره أقل من ذلك وهو : ظ ، غ ، ط ، ز ، ث ، خ ، ض ، ش ، ص ، ذ) [3] .

ثم يقول (ومن الحروف مالايتركب بعضه مع بعض إذا اجتمع فى كلمة إلا أن يقدّم ، ولا يجتمع إذا تأخر وهو : ع ، ه . فإن العين إذا تقدمت تركبت وإذا تأخرت لاتتركب . ومنها مالا يتركب إذا تقدم ويتركب إذا تأخر وهو : ض ، ج . فإن الضاد إذا تقدمت تركبت وإذا تأخرت لاتتركب فى أصل العربية . ومنها مالايتركب بعضه مع بعض لا إن تقدم ولا إن تأخر وهو : س ، ث ، ض ، ز ، ظ ، ص . فاعلم ذلك)

مع علماء البلاغة :

جاء فى عروس الأفراح للسبكى [4] تنبيه : رتب الفصاحة متقاربة ، وإن الكلمة تخف وتثقل بحسب الانتقال من حرف إلى حرف لايلائمه قربا أو بعدا . وإذا تقرر

---

(١) لا تتفق الاحصاءات الحديثة إلا مع ثلاثة فقط من هذه الحروف السبعة .
(٢) لاتتفق الاحصاءات الحديثة إلا مع ستة حروف من هذه الحروف الإحدى عشرة .
(٣) تؤيد الإحصاءات الحديثة سبعة من هذه الحروف العشرة .
(٤) شروح التلخيص ج ١ ص ٩٤ ، ٩٥

ذلك فاعلم أن أحسن التراكيب وأكثرها استعمالا ما انحدر فيه من الأعلى إلا الأوسط إلى الأسفل ؛ ثم ما انتقل فيه من الأوسط إلى الأدنى إلى الأعلى ؛ ثم من الأعلى إلى الأدنى إلى الأوسط ، وما انتقل فيه من الأوسط إلى الأعلى إلى الأدنى فهما سيّان فى الاستعمال . . . . وأقل الجميع استعمالا ما انتقل فيه من الأدنى إلى الأعلى إلى الأوسط) انتهى كلام عروس الأفراح .

والمؤلف فى كل الحالات السابقة يريد بقوله « الأعلى » حرفا من حروف الحلق ، وبقوله « الأدنى » أو « الأسفل » حرفا مخرجه الشفتان ، وبقوله « الأوسط » حرفا مخرجه الفم .

حالات متفرقة فى المعاجم تؤيدها احصاءاتنا لحديثة :

أولا – من حيث امتناع اجتماع الجيم مع القاف أو الصاد أو الطاء فى كلمة واحدة . جاء فى حاشية القاموس المحيط فى مادة قبج (لاتجتمع القاف والجيم فى كلمة عربية) وجاء فى اللسان (لأن القاف والجيم لاتجتمعان فى كلمة واحدة من كلام العرب) . وبمناسبة الكلام عن « صولجان » جاء فى حاشية القاموس المحيط (القاعدة المشهورة بين أئمة الصرف واللغة أنه لا يجتمع صاد وجيم فى كلمة عربية ، ولذا حكموا على نحو الجص والإجاص والصولجان بأنها أعجمية ، فجميع مافى هذا الفصل إما عجمى أو معرب) .

وجاء فى اللسان مادة صرج (فارسى معرب وكذلك كل كلمة فيها صاد وجيم لأنهما لايجتمعان فى كلمة واحدة من كلام العرب) .

وبمناسبة الكلام عن « الطاجن » جاء فى اللسان (لأن الطاء والجيم لايجتمعان فى أصل كلام العرب) .

ثانيا – من حيث امتناع اجتماع السين مع الذال جاء فى القاموس المحيط بمناسبة « السبذة » (ولا تجتمع السين والذال فى كلمة عربية) .

ثالثا – من حيث امتناع وقوع الزاى بعد دال . جاء فى القاموس المحيط بمناسبة « قهندُز » (معرب ولا يوجد فى كلامهم دال بعد زاى بلا فاصلة بينهما) .

وجاء فى اللسان مادة هندز (صيروا الزاى سينا فقالوا مهندس ، لأنه ليس فى كلام العرب زاى قبلها دال) .

رابعا – من حيث امتناع وقوع الراء بعد نون . جاء فى القاموس المحيط (النرش التناول باليد عند ابن دريد ، وعندى أنه تصحيف وليس فى كلامهم راء قبلها نون) .

خامسا – ومن حيث حروف الذلاقة جاء فى اللسان مادة ذلق (وحروف الذلاقة ستة : الراء ، اللام ، النون ، الفاء ، الباء ، الميم . . . . . قال ابن جنى وفى هذه الحروف الستة سرّ ظريف ينتفع به فى اللغة ، وذلك أنه متى رأيت اسما رباعيا أو خماسيا غير ذى زوائد فلابدّ فيه من حرف من هذه الستة أو حرفين وربما ثلاثة) .

مع أصحاب القراءات :

حاول بعض أصحاب القراءات القرآنية ، إحصاء مجموع عدد الحروف الهجائية فى نصوص القرآن الكريم ، وربما بدأ هذا منذ عهد الحجاج بن يوسف كما تفيد بعض الروايات .

ويذكر الفيروزابادى فى كتاب له يسمى « بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز » بهذا الصدد ثمانى روايات ، كما يذكر القرطبى فى مقدمة تفسيره ثلاث روايات ، ولا تتفق هذه الروايات الإحدى عشرة إلا فى الرقم الكبير وهو ثلثمائة ألف ، وتختلف فى الأرقام التى بعده ، والروايات المذكورة فى البصائر أرقامها كما يلى (« ٣٠٠٠٢٣ ، ٣٦٠٠٢٣ » ، ٣٠٠٦٧٠ ، ٣٢١٢٠٠ ، ٣٢٣٦٧١ ، ٣٢٣٠٧١ ، ٣٧٣٢٥٠ ، ٣٢١٢٥٠ ، ٣٢٠١٨٨)

والروايات الثلاث التى فى تفسير القرطبى أرقامها (٣٢١١٨٠ ، ٣٢٣٠١٥ ، ٣٤٠٧٤٠)

أما من حيث عدد كل حرف على حدة فيذكر فى البصائر روايتان لاتتفقان إلا فى عدد الطاءات والظاءات ، ويذكر النسفى فى تفسيره رواية ثالثة لاتتفق مع الروايتين السابقتين إلا فى عدد الظاءات . ونلحظ اختلافا كبيرا بين العدد المنسوب لكل حرف من حروف الهجاء فى هذه الروايات الثلاث ، مما يثير فينا العجب والدهشة . ولا يحتمل أن يكون هناك تحريف أو تصحيف فى الأعداد لأنها وردت مضبوطة بالكتابة لا بالأرقام .

ويكفى أن أذكر هنا نص إحدى الروايات التى جاءت فى البصائر بصدد مجموع الحروف الهجائية فى القرآن الكريم (أخبرنا الحسن ، أنا أبو الحسن ، أنا ابن سلم ، أنا وكيع ، أنا إسماعيل بن مجمع ، أنا محمد بن يحيى ، أنا عبد الملك بن عبد الرحمن ، حدثنى أيوب وأبو عكرمة ، عن مرجىّ ، عن جعفر بن سليمان ، عن مالك بن دينار ، وراشد وغيرهما ، قالوا : قال لنا الحجاج عدّوا لى حروف القرآن ، ومعنا الحسن وأبو العالية ، ونصر بن عاصم ، فحسبنا بالشعير وأجمعنا على أنه ثلثمائة ألف حرف وثلاثة وعشرون حرفا ، وفى رواية عطاء بن يسار ، ثلثمائة ألف حرف وستون ألفا وثلاثة وعشرون حرفا) ..

أما بعد : فهل لايزال يخالج أحدا من الدارسين شىء من الشك فى وجوب إعادة الاحصاء والاستقراء لنصوص لغتنا العربية مستخدمين فى ذلك الأجهزة الحديثة التى تكفل لنا نتائج أشمل وأوفى وأدق ؟ !

ولم نكن نهدف بالجولة السابقة ـ لا من قريب ولا من بعيد ـ أن ننتقص من جهد علمائنا القدماء ، فجهدهم مشكور يستحق الثناء والتقدير بالقياس إلى زمانهم ، ولكنه حين يقارن بما أسفرت عنه إحصاءاتنا الحديثة يعدّ شيئا ضئيلا جدا .

وبالله التوفيق

ابراهيم انيس
المشرف على المجلة

نوفمبر ١٩٧٢